بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان علىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، أَمَّا بَعْد؛

فمعاشر الفضلاء فهذا المجلس معقود لنستمع لرسالة جامعة ماتعة عظيمة النفع، في أمر هو أصل الأصول، وأول الفرائض؛ هي الرسالة المفيدة المهمة الجليلة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، الإمام المصلح داعية التوحيد، السائر علىٰ منهج السلف الرشيد رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وسائر علماء المُسْلِمِيْنَ. وهذه الرسالة يكفي سماعها عن شرحها، ونحن سنعرضها عرضًا وأعلق عليها بعض التعليقات. فنبدأ مستعينين بالله عَزَّ وَجَلَّ.

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد وعَلَىٰ آله وأصحابه أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولوالدينا ولشيخنا ولوالديه ولجميع المُسْلِمِيْنَ.

يقول الشيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تعالى في رسالته "الرسالة المفيدة المهمة الجليلة":

(المتن)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفىٰ، وسلام علىٰ عباده الذين أصطفىٰ، أما بعد: فاعلم أرشدك الله تعالىٰ أن الله خلق الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، قال الله تعالىٰ: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}.

(الشرح)

الله عَزَّ وَجَلَّ إنما خلق الإنس والجن لغاية عظيمة هي توحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإفراده بالعبادة. فمعنىٰ "إلا ليعبدون" يعني إلا ليوحدون، فالمعبود هو الله، والمستحق للعبادة هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وصرف شيء من العبادة -قَلَّ ذلك أو كثر- هو ظلم عظيم؛ لأنه إعطاء من لا يستحق ما لا يستحق. وهو أعظم الظلم وأقبح القبائح.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

والعبادة هي التوحيد لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه، كما قال الله تعالىٰ: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}.

(الشرح)

التوحيد هو إفراد الله عَزَّ وَجَلَّ بما له، وأعظم التوحيد وهو المراد إذا أطلق في النصوص توحيد العبادة، توحيد الألوهية، توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ بأفعال الخلق علىٰ وجه التقرب. هذا التوحيد هو أعظم أنواع التوحيد وإذا أُطلق التوحيد في النصوص فإنه هو المراد. وفيه كانت الخصومة العظيمة بين الأنبياء ومن كفر من أممهم. والله إنما بعث الأنبياء ليأمر الناس بهذا التوحيد، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والتوحيد لا بد فيه من إفراد الله بالعبادة والكفر بما يُعبد من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والتوحيد يكون بالقول، ويكون بالفعل، ويكون بالقصد، ويكون باليقين. فالتوحيد يكون بالقول بأن يقول الإنسان: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. ويكون بالفعل بأن يفعل ما يقتضيه التوحيد ويجتنب نواقض التوحيد. ويكون بالقصد والإرادة، فلو أن إنسانًا قصد عبادة غير الله ولو لم يعبد فإنه قد أشرك، ويكون أيضًا باليقين فلا بد في التوحيد من اليقين. والشرك يقابل التوحيد، فقد يكون الشرك بالقول، وقد يكون بالفعل، وقد يكون بالقصد والإرادة، وقد يكون بالشك وقد يكون بِالشَّكّ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

وأما التوحيد فهو ثلاثة أنواع

(الشرح)

قلنا إن التوحيد هو إفراد الله عَزَّ وَجَلَّ بما له، وبعضهم يقول إفراد الله عَزَّ وَجَلَّ بخصائصه.

وقد استقرأ العلماء ما جاء في شأن التوحيد في القرآن والسنة فوجدوا أنها تعود إلىٰ ثلاثة أمور:

الأمر الْأَوَّلُ: توحيد متعلق بأفعال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الأمر الْثَّانِي: توحيد متعلق بأفعال العباد.

الأمر الْثَّالِث: توحيد متعلق بأسماء الله وصفاته.

فقالوا إن التوحيد ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام استقراءً لما في القرآن وَالسُّنَّة: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

(المتن)

أما توحيد الربوبية:

فهو الذي أقر به الكفار علىٰ زمن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ولم يدخلهم في الإسلام وقاتلهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم واستحل دماءهم وأموالهم، وهو توحيده بفعله تَعَالَىٰ

(الشرح)

هٰذَا تَعْرِيْف توحيد الربوبية؛ توحيد الله بفعله، فالله عَزَّ وَجَلَّ هو الْرَّبّ، والرب هو الخالق المدبر السيد الآمر الناهي، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو رَبِّ العَالَمِينَ. وهذا التوحيد يقر به الناس ولا يجحده إلا شواذ الناس، أن للكون خالقًا، وأن الله قد خلق الناس ورباهم بالنعم، وأنه يدبر أمورهم، هذا يقر به الناس.

وقد كان أهل الجاهلية في زمن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرون به، وإذا سُئلوا أجابوا بجعل ذلك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. لكن هذا لم ينفعهم؛ لأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، فمن أقر بأن الله ربه لزمه أن يعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وإقرار المشركين بتوحيد الربوبية هو من حيث الجنس، نعم في إقرارهم خلل، وفي توحيد الربوبية عندهم خلل، لكنهم في الجملة وفي الجنس يقرون بتوحيد الربوبية.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

(المتن)

والدليل قوله تعالىٰ: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ} ،

{قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ}.

(الشرح)

من أقر بهذا فإنه يلزمه أن يعبد الله، ولا يصرفه عن ذلك إلا ذهاب عقله، فكأنهم مسحورون، قد ذهبت عقولهم بالسحر، وإلا لو كانوا يعقلون ويتدبرون ويتذكرون ويتقون لعبدوا الله وحده، فكيف يخلق الله وينعم الله ويربي الله ويُعبد غيره! إن هذا لأمر يحار منه العقلاء. لكن الشيطان يلعب بأوليائه.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

والآيات علىٰ هذا كثيرة جداً أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر.

"وأما الثاني" وهو توحيد الألوهية:

فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه وهو توحيد الله تعالىٰ بأفعال العباد كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة.

(الشرح)

هذا هو توحيد الألوهية، توحيدُ الله بأفعال العباد علىٰ وجه التقرب، وهذا التوحيد هو الذي خالف فيه المشركون وأخبرهم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم لو ماتوا علىٰ ضده ولم يحققوه أنهم خالدون مخلدون في نار جهنم، فإذا كان الذي أقر بالربوبية ولم يوحد الله بالعبودية قد تُوعد في الكتاب والسنة بأنه خالد مخلد في نار جهنم، فكيف بمن يشرك في الربوبية مع شركه في الألوهية كما يفعل غلاة الصوفية الذين يجعلون للأولياء مشاركة الله في التدبير، والخلق، والرزق، والإحياء، والتأثير في القول، ويعبدون غير الله، ويتقربون إلىٰ الأولياء بأنواع العبادات! لا شك أن هؤلاء أعظم كفرًا وأولىٰ بالمحاربة، وأولىٰ بهذا الوعيد.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

(المتن)

ودليل الدعاء قوله تعالىٰ: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}

(الشرح)

خص الشيخ الدعاء لأن أكثر شرك الناس إنما يقع في باب الدُّعَاء، فيدعون أصحاب القبور، يدعونهم من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. بل منهم من يعتقد أن المقبور أسرع استجابة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، نعوذ بالله من ذلك. فأقام الشيخ الدليل علىٰ أن الدعاء عبادة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وهذا يقطع حجج هؤلاء الذين يدعون المخلوقين من دون الله. الله عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] لستم بحاجة إلىٰ غيري، لستم بحاجة إلىٰ وسائط. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠] يعني يستكبرون عن دعائي. ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

(المتن)

وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القُرْآن.

وأصل العبادة تجريد الإخلاص لله وحده وتجريد المتابعة للرسول صلىٰ الله عليه وسلم

(الشرح)

وهذا معنىٰ الشهادتين؛ تجريد الإخلاص لله، لا معبود بحقٍ إلا الله. وتجريد المتابعة لرسول الله. فلا يُعبد إلا الله، ولا يُعبد الله إلا بما جاء عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

(المتن)

قال تعالىٰ: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللهِ أَحَداً}، وقال تعالىٰ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} وقال تعالىٰ: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ـ إلىٰ قوله ـ وَمَا دُعَاءُ

الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ}، وقال تعالىٰ: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} والآيات معلومات.

(الشرح)

يعني هذا فيما يتعلق بإفراد الله عَزَّ وَجَلَّ بالعبادة، وهذه آيات معلومات بينات نصوص واضحات دامغات.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

وقال تعالىٰ: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} وقال تعالىٰ: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

(الشرح)

وهذا في تجريد المتابعة لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأهل الأهواء في هذه الأمة تجد أنهم يخالفون في الأصلين؛ فتجد أنهم يعبدون غير الله، وتجد أن البدع أحب إليهم من السنن، ولا يلزمون ما جاء عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التعبد.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

"وأما الثالث" فهو توحيد الذات والأسماء والصفات:

قال تعالىٰ: {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ}

(الشرح)

يعني أن يعتقد الإنسان أن الله عَزَّ وَجَلَّ لا مثيل له في ذاته ولا في صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا في أسمائه، فذاته لا تشبه الذوات، وصفاته الثابتة في الكتاب والسنة بمعانيها الحقيقية اللائقة بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تشبه الصفات، صفات المخلوقين. وأسماؤه الحسنىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تشبه أسماء المخلوقين.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

(المتن)

وقال تعالىٰ: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، وقال تعالىٰ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

(الشرح)

وهذه قاعدة في توحيد الأسماء الصفات، قاعدة قاطعة، إثبات يليق بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونفي المماثلة والمشابهة.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

(المتن)

ثم اعلم أن ضد التوحيد الشرك

(الشرح)

لا بد من معرفة الشرك لاجتنابه والحذر منه والتحذير منه، وهذا هو الوارد في القرآن وفي السُّنَّة، والذي كان عليه صحابة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والشرك هو جعل ما لله لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

(المتن)

ثم اعلم أن ضد التوحيد الشرك وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي.

والدليل علىٰ الشرك الأكبر قوله تعالىٰ: {إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً}.

وقال تعالىٰ: {وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرائيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}.

(الشرح)

هذا الشرك الأكبر المخرج من الملة الناقض للتوحيد بالكلية، وصاحبه إن مات عليه خالد مخلد في النَّار، لا يغفر الله ذنبه، ويؤاخذه بسائر ذنوبه، يُؤاخذ بالشرك ويؤاخذ بسائر ذنوبه.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

(المتن)

وهو أربعة أنواع:

"النوع الأول" شرك الدعوة

(الشرح)

الدعوة هنا المراد بها الْدُّعَاء، دعاء دعاء غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

(المتن)

والدليل قوله تعالىٰ: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}.

"النوع الثاني" شرك النية والإرادة والقصد

(الشرح)

الشرك بالنية والإرادة والقصد، ولو لم يقل شيئًا أو يفعل شيئًا. لو اعتقد الإنسان أن البدوي يجوز أن يُدعىٰ من دون الله لكنه لم يدعو ولم يفعل لكن وُجد في قلبه الاعتقاد أو القصد والإرادة فإنه يكون بذلك مشركًا بالله شركًا أكبر.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

(المتن)

والدليل قوله تعالىٰ: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

(الشرح)

أيضا يدخل في شرك النية والإرادة الشرك الأكبر الرياء المحيط بالأعمال، بحيث تكون أعماله كلها مبنيةً علىٰ الرياء ولا يذكر الله إلا قليلًا. وكذلك إرادة الدنيا إرادةً تامة، فهو لا يريد من أعماله إلا الدنيا، فهذا أيضًا يدخل في الشرك الأكبر من النية والإرادة والقصد. أما إذا كان دون ذلك مثل يسير الرياء وإرادة الدنيا العارضة فهذا يكون من الشرك الأصغر.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

"النوع الثالث" شرك الطاعة،

(الشرح)

شرك الطاعة يعني شرك المخلوقين في التحليل والتحريم من دون الله، أن يجعل التحليل والتحريم لأحد من خلق الله من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

والدليل قوله تعالىٰ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} : وتفسيرها الذي لا إشكال فيه، طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي صلىٰ الله عليه وسلم، لعدي بن حاتم لما سأله، فقال: لسنا نعبدهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية.

"النوع الرابع" شرك المحبة

(الشرح)

المحبة التي عبادة التي فيها ذل وخضوع وتعظيم، وتؤدي إلىٰ الطاعة والامتثال، فهذه المحبة إنما هي لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وجعلها لغير الله عَزَّ وَجَلَّ شرك.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

والدليل قوله تعالىٰ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ}.

"والنوع الثاني" شرك أصغر، وهو الرياء

(الشرح)

النوع الثاني شرك أصغر وهو الرياء، وهذا إذا كان يسيرًا، لا يغلب علىٰ أعمال العبد، أما إذا كان يغلب علىٰ أعمال العبد فهو من الشرك الأكبر. والرياء أن يظهر العبد العمل أمام الناس ليحمدوه علىٰ ذلك ويمدحوه.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

والدليل قوله تعالىٰ: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}.

"والنوع الثالث" شرك خفي.

(الشرح)

يعني هذا النوع الشرك الأصغر الذي هو الرياء ويسمىٰ بشرك السرائر كما ورد في الحديث، وجاء أيضًا تسميته بالشرك الخفي؛ لأنه يكون في القلب. وهذا النوع الثالث أراد به الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الشرك الذي يتسلل إلىٰ القلوب، وهذا يقتضي من الإنسان أن يراقب قلبه دائمًا، يراقب نيته، ويراقب قصده دائمًا فإن الشرك قد يكون خفيًا جدًا بحيث يصل إلىٰ القلب بدون أن يشعر الإنسان.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

والدليل قوله صلىٰ الله عليه وسلم: "الشرك في هذه الأمة أخفىٰ من دبيب النملة السوداء علىٰ صفاة سوداء في ظلمة الليل" وكفارته قوله صلىٰ الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم".

(الشرح)

يعني مطلوب من المؤمن أن يراقب قلبه؛ أعظم ثغر تحرسه هو قلبك، وأقبح شيء تخاف منه علىٰ قلبك الشِّرْك. واحذر حذرًا شديدًا من هذا الشرك الخفي الذي يتسلل تسللًا إلىٰ القلب، وعليك بهذه الاستعاذة العظيمة: "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك مما لا أعلم"، فهذا يدفع هذا الشرك بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

فالكفر كفران:

كفر يخرج من الملة وهو خمسة أنواع

(الشرح)

الشرك والكفر يرىٰ بعض أهل العلم أنهما مترادفان، ولا شك أن الشرك إذا أطلق يدخل فيه الكفر، وأن الكفر إذا أطلق يدخل فيه الشِّرْك. ولكن الكفر أعم من الشِّرْك، فقد يكون الكفر بغير شرك، فالكفر أعم من الشِّرْك. والكفر أيضًا نوعان.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

كفر يخرج من الملة وهو خمسة أنواع:

"النوع الأول" كفر التكذيب، والدليل قوله تعالىٰ: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ}.

(الشرح)

كفر التكذيب إما علىٰ سبيل العموم كان يكذب محمدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رسالته أو في عموم رسالته، فيقول مثلًا إن محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أرسله الله، فهذا كفر. أو يقول أرسله الله إلىٰ العرب، أو أرسله لمن ليس لهم كتاب، فهذا كفر. ولذلك كل يهودي أو نصراني عَلِمَ بالنبي

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكذبه ولم يؤمن به فهو كافر. أو تكذيب خاص فيثبت عنده الحديث عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويكذبه، فهذا أيضًا -وَالعِيَاذُ بِاللهِ- كفرٌ.

كذلك لو كذب الإنسان رسولًا من الرسل، لو أن شخصًا يشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأن محمدًا رسول الله، لكن قال موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن رسولًا، فهذا -وَالعِيَاذُ بِاللهِ- كفر.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

والدليل قوله تعالىٰ: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ}.

"النوع الثاني" كفر الإباء والاستكبار مع التصديق

(الشرح)

يعني هو يصدق، ما يكذب، لكنه لا يستسلم للشرع، ولا يدخل تحت حكم الشرع، ولا يخرج نفسه من داعية هواه إلىٰ طاعة مولاه، بل يأبىٰ ويكابر ويرد الشرع.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

والدليل قوله تعالىٰ: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}.

"النوع الثالث" كفر الشك وهو كفر الظن

(الشرح)

قلنا يا إخوة إن التوحيد لا بد فيه من يقين، فالشك كفر، فمن شك فيما هو ثابت شرعًا فإنه يكفر بذلك. من شك مثلًا في الثواب والعقاب، من شك في الميزان يوم القيامة فإنه يكفر بذلك.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

(المتن)

والدليل قوله تعالىٰ: {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً}.

"النوع الرابع" كفر الإعراض

(الشرح)

كفر الإعراض يعني أن يعرض عن دين الإسلام، ما يتعلمه، ويأبىٰ أن يتعلمه، ويعرض عليه العلم ويأباه، يجد العلم ولا يتعلم، فهذا كفر لأنه معرض عن دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

(المتن)

والدليل قوله تعالىٰ: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ}.

النوع الخامس كفر النفاق

(الشرح)

هذا النوع الخامس وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، وهذا كفر بالله عَزَّ وَجَلَّ. والمنافقون في الدرك الأسفل من النار لأنهم جمعوا مع كفرهم مخادعة المؤمنين والإضرار بالمؤمنين.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

(المتن)

"النوع الخامس" كفر النفاق، والدليل قوله تعالىٰ: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ}. وكفر أصغر لا يخرج من الملة وهو كفر النعمة.

(الشرح)

كفر أصغر هو كفر، ويكفيه قبحًا أنه سمي كفرًا كما في الشرك الأصغر، لكنه لا يخرج من الملة، لكن هو قبيح، أقبح من البدع وأقبح من سائر المعاصي، وهو كفر النعمة، أي جحد النعمة

فجحد النعمة كفر أصغر. أما إذا نسبها إلىٰ غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا كفر أكبر، إذا نسب النعمة لغير الله.. قال النعمة هذه إنما هي من كذا فهذا -وَالعِيَاذُ بِاللهِ- كفر أكبر.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

والدليل قوله تعالىٰ: {وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}.

أما النفاق فنوعان: اعتقادي وعملي.

(الشرح)

النِّفَاق الاعتقادي هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، فالباطن كافر والظاهر مسلم.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

فأما الاعتقادي فهو ستة أنواع.

(الشرح)

هذه صفات المنافقين نفاقًا اعتقاديًا

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

أولًا: تكذيب الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الشرح)

أي يكذب الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قلبه، فهو في قلبه يعتقد أن الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاذب وإن كان يظهر أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. وقد يلمز رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقواله، وهذا ظاهر ينبئ عن باطن، والغالب أن خبث الباطن لا بد أن يظهر منه شيء في الظاهر.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

ثانيًا: أو تكذب بعض ما جاء به الرسول.

(الشرح)

الثاني أن يكذب بعض ما جاء به الرسول، فيعتقد في قلبه أن الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاذب في مثلًا الوعد أو كاذب في الوعيد -أعوذ بالله- فهذا من صفات المنافقين.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

ثالثًا: بغض الرسول.

(الشرح)

قد يكون في قلبه يبغض الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا نفاق اعتقادي، حتىٰ لو كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، ويصلي مع الناس، فإنه ما دام أنه في قلبه يبغض الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو منافق نفاقًا اعتقاديًا يخرجه من الملة.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

رابعًا: بغض ما جاء به الرسول.

(الشرح)

أن يبغض الدين مثلًا، أو يبغض بعض الدين، مع علمه بأنه من الدين، فهذه من صفات المنافقين، من فعل ذلك فهو منافق نفاقًا اعتقاديًا.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

خامسًا: المسرة بانخفاض دين الرسول.

(الشرح)

يعني أن يفرح في قلبه ويسر إذا كُسِرَ دين الله لأنه دين الله، يفرح بانكسار الدين وبانخفاض الدين؛ لأنه دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. فهذا من صفات المنافقين نفاقًا اعتقاديًا، وهو نفاق اعتقادي يخرج من الملة.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

سادسًا: أو الكراهية لانتصار دين الرسول.

(الشرح)

إذا علم أن الدين انتصر أو ظهر في مكان كره ذلك في قلبه واشمأزت نفسه من ذلك، وضاق صدره بذلك، هذا من صفات المنافقين نفاقًا اعتقاديًا وهو نفاق يخرج من الملة.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النَّار.

(الشرح)

وكلها في القلب؛ لأن المنافق يخفي عقيدته في قلبه، ويظهر الإسلام. هذه الأنواع الستة إذا وجد واحد منها فصاحبه منافق نفاقًا اعتقاديًا خالد مخلد في النَّار، في الدرك الأسفل من النَّار.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

وأما العملي فهو خمسة أنواع

والدليل قوله صلىٰ الله عليه وسلم: "آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر"

(الشرح)

يعني النفاق العملي الذي فيه بعض صفات المنافقين التي لا تتعلق بالاعتقاد، ما تتعلق بالقلب وإنما تتعلق بالعمل.

وهذه الأنواع الخمسة، الكذب في الحديث حتىٰ يصير الكذب صفة غالبة عليه، هذا نذير ومن اتصف بذلك فهو متصف بعمل من أعمال المنافقين، وإخلاف الوعد حتىٰ يغلب ذلك عليه، وخيانة الأمانة حتىٰ يغلب ذلك عليه، والفجر والفجور في الخصومة حتىٰ يغلب ذلك عليه، والغدر عند العهد حتىٰ يغلب ذلك عليه؛ فهذه إذا وُجد في الإنسان صفة منها ففيه صفة من نفاق، وعليه أن يحذر ويجاهد نفسه، ولا تكاد تجتمع إلا في منافق.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

نعوذ بالله من النفاق والشقاق وسوء الأدب. والله أعلم.

(الشرح)

ختم الشيخ رَحِمَهُ اللهُ الرسالة. ما أعظم هذه الرسالة! فيها أعظم ما أمرنا به وهو الذي من حققه وأتىٰ به سلم من الخلود في النار يقينًا. وقد يسلم من دخول النار أصلًا. ومن حقق فله الأمن في الدنيا والآخرة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. وفيه التحذير مما ينقض التوحيد ومما ينقص التوحيد، مما سمي شركًا أو كفرًا أو نفاقًا. والشيخ إنما سار في هذه الرسالة علىٰ سَنن القُرْآن، فأول القرآن بعد الفاتحة التي فيها تقرير التوحيد في سورة البقرة ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ المؤمنين وصفاتهم، ثم ذكر الكفار، ثم ذكر المنافقين وأطال في صفاتهم؛ والشيخ في هذه الرسالة قد صنع هٰذَا. فذكر التوحيد وتبين من ذلك صفات أهله، ثم ذكر الشرك والكفر لنكفر به ونحذره ونخاف منه دائمًا. ثم ذكر النفاق وأنواعه لنحذر منه حذرًا شديدًا.

هذه الرسالة يا إخوة ينبغي أن لا تغيب عن بيوتنا، رسالتان ينبغي الحرص علىٰ قراءتهما بتكرار في البيوت: الأصول الثلاثة، وهذه الرسالة. وإذا كان هذا في الزمان الماضي فهو في وقتنا هذا ألزم. يا إخوة! العلماء يقولون: من العلم الذي لا يُترك علم التوحيد، لا بد من العناية به فهو أصل العلوم، كل علم فرع عن التوحيد. ولا بد من تكراره؛ كلما فرغت عدت. وَلَا بُدَّ من الحرص علىٰ تقرير التوحيد في البيوت، خاصة في هذا الزمان الذي أصبح المشركون والملحدون فيه يخاطبون أهلنا. قديمًا كانت بلادنا بحمد الله محفوظة، وعلماؤنا لا تسمع منهم إلا التوحيد والتحذير من الشِّرْك.. قال الله..

قال رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. لكن الآن مع وسائل التواصل الموجودة صار ما في حدود، الملاحدة في يد ابنك، الكفار وغلاة الصوفية في يد ابنك، الأشاعرة في يد ابنك، كلٌّ ينفث سمه. إذا لم يُقابل هذا بعلم ويقين وصبر ومصابرة فإن الخطر عظيم، أغلىٰ ما نملك ديننا، وأغلىٰ ما نملك من ديننا توحيدنا، والله أغلىٰ من كنوز الدنيا، يجب أن نحافظ عليه يا إخوة، يجب أن نحافظ عليه. أدركنا رجالًا لا يكتبون حرفًا لكنهم يحفظون متون التوحيد، يسمعونها تسميعًا بيقين. والله ينبغي أن نعيد هذا يا إخوة. نربي أهلينا وأبنائنا وبناتنا علىٰ هذا الأمر.

ومن أعظم وسائل ذلك أن نقرأ هاتين الرسالتين دائمًا في البيوت: الأصول الثلاثة، وهذه الرسالة المهمة المفيدة؛ حتىٰ نكون علىٰ علم ومعرفة. وهذا أول الامتثال، أول الامتثال العلم، وحراسة الدين إنما تكون بالعلم. فوصيتي لنفسي وإخواني أن نحرص علىٰ هذا حرصًا شديدًا. إنما اخترت هذه الرسالة بغرض التنبيه عليها وعلىٰ جودة ما فيها، وعلىٰ لزوم الحرص عليها وعلىٰ قراءتها في البيوت.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يستعملنا في طاعته، وأن يثبتنا علىٰ التوحيد وَالسُّنَّة، وأن يقبضنا ونحن علىٰ التوحيد وَالسُّنَّة. أسأل الله أن يستعملني وإياكم في خدمة دينه، وفي الدعوة إلىٰ الكتاب وَالسُّنَّة، وفي الدعوة إلىٰ التوحيد، وأن يتقبل منا ذلك.

والله تَعَالَىٰ أعلىٰ وأعلم، وصلىٰ الله عَلَىٰ نَبِيِّنَا وسلم.